حقيقة الإيمان وعلاماته

الإيمان كما عرفه حبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم) في حديث جبريل (عليه السلام) ، عندما سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإيمان ، فأجابه (صلى الله عليه وسلم) بقوله:" أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " (صحيح مسلم).

والإيمان بالله (عز وجل) يقتضي أن تؤمن بأنه واحد أحد " لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ " (سورة الإخلاص)، وأنه هو الخالق القابض الباسط المعز المذل ، " إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ " (يس: ٨٢).

وأن تدرك إدراكا لا يخالجه أي شك بأن الأمر كله لله ، و" أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " (سنن الترمذي).

ومن أخص علامات الإيمان والثقة في الله : الصدق ، حتى قال بعضهم: الإيمان الحقيقي هو الذي يحملك على أن تقول الصدق مع ظنك أن الصدق قد يضرك ، وألا تقول الكذب مع ظنك أن الكذب قد ينفعـك ، لعلمك أن

ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك .

ومن أهم علامات الإيمـان : الرضا بمـا قسم الله ، وخشية الله في السـر والعلن ، والاطمئنان بذكر الله ، وحب الله ورسوله ، وحب الخير للناس وحبهم في الله ولله ، حيث يقول الحق سبحانه : " ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ " (الرعد: ٢٨) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" (متفق عليه) ، ويقول (صلى الله عليه

وسلم) : " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ "، فقال سيدنا عمر (رضي الله عنه) : يَا رَسُولَ اللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ) ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الآنَ وَاللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (الآنَ يَا عُمَرُ) " (متفق عليه) .

على أن الحب بلا طاعة حب أجوف لا طائل ولا غناء منه ، فالحب الحقيقي هو الذي يؤدي إلى حسن الاتباع ، حيث يقول سبحانه على لسان نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " (آل عمران: ٣١).

ويقول الشاعر :

تَعْصِي الإِله وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّـه
هـذا محالٌ في القيـاس بديــع
لَوْ كانَ حُبُّكَ صَادِقًا لأَطَعْتَـه
إنَّ المُحِبَّ لِمَـنْ يُحِـبُّ مُطِيــع
في كلِّ يـومٍ يبتـديـكَ بنعمـة
منهُ وأنتَ لشـكرِ ذاكَ مضيـع

ثم إن للإيمان وللمؤمنين علامات ، من أهمها :

ما ذكره الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى :" إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " (الأنفال:٢- ٤) ، فالمؤمن تقي نقي ، يألف ويؤلف ، ليس بفظ ولا فاحش ولا غليظ ، خاشع لله ، مخبت إليه ، حيث يقول الحق

سبحانه : "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ " (الحديد: ١٦)، ويقول (عزّ وجل) : "فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ " (الزمر: ٢٢)، مما يؤكد أن الظواهر التي تميل إلى القسوة والعنف والتطرف والإرهاب وسفك الدماء والتنكيل بالبشر لا علاقة لها بالإيمان ولا بالأديان، بل إن القرآن الكريم قد نص على ذلك صراحة في قوله تعالى: "وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا" (الفرقان: ٦٣).

إن المؤمن مصدر أمنٍ وأمان ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"(متفق عليه)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) :"وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ" قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ :"الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ،قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ ؟ قَالَ : شَرُّهُ" (صحيح البخاري)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَان وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ" (رواه الطبراني والبزار).

فالإيمان يربي صاحبه على الكف عن الأذى وعلى حب الخير للآخرين والإحساس بهم والعمل على إسعادهم ، فإذا كان الإيمان خيرًا كله ، فينبغي أن يكون المؤمن خيِّرًا يتحرك على الأرض لنفع الناس ، لا لإيذائهم أو الاستعلاء عليهم أو الإضرار بهم .

ومن أخص صفات المؤمنين الأمانة ، حيث يقول سبحانه وتعالى : "وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ " (المؤمنون: ٨) ، فقد ربط بين الإيمان والأمانة ، فالإيمان ، والأمن ، والأمان ، والأمانة ألفاظ ترجع في أصل اشتقاقها إلى مادة لغوية واحدة: هي مادة : (أَمِنَ) ، فحيث كان الإيمان كانت الأمانة وكان الأمن ، ولا إيمان لمن لا أمانة له ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) في ربط واضح بين الأمانة والإيمان : " لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ "(مسند أحمد) .

فأداء الأمانة والوفاء بالعهد ، هما أحد أهم جوانب التطبيق العملي لمفهوم الإيمان ، ونلاحظ أن النص القرآني هنا لم يذكر مجرد أداء الأمانة أو الوفاء بالعهد ، إنما تحدث

عن رعاية ذلك وتعهده والعناية به كما يتعهد الوالد ولده أو الزارع زرعه ، حيث يقول الحق سبحانه :" إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ" (النساء: ٥٨) ، ويقول تعالى :" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ " (المائدة :١) ، ويقول (عز وجل) : " وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا" (الإسراء : ٣٤) ، فالتزام القيم والأخلاق هو التطبيق العملي لمفهوم الإيمان والدليل على رسوخه وتمكنه من نفس صاحبه .

* * *